دعوى مناقضة السنة النبوية للعلم الحديث

(حديث الذبابة) نموذجًا

إعداد الدكتورة

فاطمة شعبان السيد يوسف

مدرس الحديث الشريف وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

القليوبية، جامعة الأزهر

دعوى مناقضة السنة النبوية للعلم الحديث "حديث الذبابة" نموذجًا

فاطمة شعبان السيد يوسف

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، القليوبية

البريد الإلكتروني: Ziyadelmasry6@gmail.com

الملخص:

أنكر بعض المشككين في السنة النبوية المطهرة صحة حديث النبي -ﷺ-؛ بحجة أنه: مخالف للعقل السليم، والواقع المعاصر، والعلم الحديث، كما أنهم زعموا أنه لا يليق أن ينسب مثل هذا الكلام إلى النبي -ﷺ- وأثاروا حوله العديد من الشبه هادفين من وراء ذلك إلى التشكيك في السنة النبوية من خلال إنكارهم لهذا الحديث فقالوا: كيف يجتمع الداء والشفاء في شيء واحد؟ وهل يعقل ذلك حين يقدم أحد الجناحين على الآخر؟

وهو حديث ينبغي على المسلم أن يتلقاه بالقبول والتسليم وألا يعارضه بعقله القاصر، لأنه قد ثبت وصح عمَّن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، فكيف وقد جاءت حقائق العلم والطب الحديث بتصديقه وتأكيد ما فيه.

ومما ينبغي أن يُتَنبه له حتى لا يبقى هناك مجال للمشككين في الحديث، أن الأمر في الحديث إنما هو أمر إرشاد لا أمر وجوب فالنبي -ﷺ- لم يأمر من وقعت ذبابة في طعامه أو شرابه أن يستمر في الطعام والشراب، وإنما أرشد النبي ﷺ من أراد أن يأكل من هذا الطعام أو الشراب الذي وقعت فيه الذبابة أن يغمسها فيه، وأما من لا يريد الأكل أو الشرب بأن تعاف نفسه منظر الذباب إذا وقع في الطعام أو الشراب فلا يلزمه الاستمرار ، ولا يكون بذلك مخالفًا لأمر النبي -ﷺ-، لذا جاء البحث بعنوان: " دعوى مناقضة السنة النبوية للعلم الحديث حديث الذبابة نموذجًا"

الكلمات المفتاحية: شبهة – سنة – ذبابة – طب.

The Allegation of Contradiction Between the Prophetic Sunnah and Modern Science: A Critical Study of the Hadith of the Fly as a Case Study

Fatima Shaaban Al-Sayed Youssef
Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Al-Qalyubia, Al-Azhar University
Email: Ziyadelmasry6@gmail.com

Abstract:
Some critics of the Prophetic Sunnah have denied the authenticity of the Hadith of the Prophet Muhammad (PBUH), arguing that it contradicts sound reason, modern reality, and contemporary science. They claim that such statements should not be attributed to the Prophet (PBUH) and have raised various doubts about it, intending to cast doubt on the entire Sunnah by rejecting this particular Hadith. They question how disease and cure can exist in the same thing, and how one wing of the fly could take precedence over the other.
This Hadith should be accepted by Muslims without contradiction, as it comes from the one who does not speak from his own desires, but only conveys divine revelation. Moreover, modern scientific and medical facts have proven the validity of this Hadith.
It is important to note that the issue discussed in the Hadith is not a matter of obligation, but rather guidance. The Prophet (PBUH) did not command the person whose food or drink has been contaminated by a fly to continue consuming it. Instead, he instructed that the fly should be dipped into the food or drink. However, if someone feels disgusted by the sight of the fly in the food or drink, they are not obliged to continue and are not violating the Prophet's guidance.
Thus, this research is titled " **The Allegation of Contradiction Between the Prophetic Sunnah and Modern Science: A Critical Study of the Hadith of the Fly as a Case Study**".

Keywords:
Doubt, Sunnah, Fly, Medicine

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتـــم الصـالحات، وأتم التسـليم وأفضـل الصـلوات على نبي الهدى محمد خير الكائنات –ﷺ – الذي جاء بدين الحق ليخرج الناس إلى النور بعدما كانوا في الظلمات، وعلى آل بيته ورضـي الله عن أصـحابه النجوم النيرات، الذين كانوا قدوة وقدوات، يحتذي بهم في كل الأماكن والأوقات، وعلى التابعين وعلى من سـار على نهجهم وعمل لخدمة سنة المصطفى – ﷺ – وبيان ما فيها من علوم ومعجزات، وبعد ...

فقد وردت كثير من الآيات تبين أن أحاديث رسـول الله – ﷺ – إنما هي وحي من الله –ﷻ– فلا تقبل الشـك ولا الريب ولا الخطأ، فهي نور تهدي إلى الصـراط المسـتقيم وأن النبي – ﷺ – يعلم الناس ما لم يكونوا يعلمون فقال تعالى: " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى "[1]، وقال تعالى: " وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "[2] وبين الله ﷻ بأن الإنسان مهما بلغ من العلم والتطور والرقي فإنه لم يحصل إلا على اليسـير من العلم ولا بد من الرجوع إلى النبي – ﷺ– فهو السـبيل إلى دروب العلوم كلها فكلامه وحي لا ضلال فيه فقال تعالى:

{ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا }[3] وقال تعالى: { كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُواْ

(١) سورة النجم: الآيتان (٣، ٤)

(٢) سورة الشورى: الآية (٥٢)

(٣) سورة الإسراء: الآية (٥٨)

عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ }[1]

ولقد علم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن ما ثبت عن النبي -ﷺ- هو اللازم لجميع من عرفه، فحفظوا سنة نبيهم بشكل لم يعهد له مثيل في تاريخ البشرية.

أما في عصرنا الحالي فقد استولى على عقول بعض النفوس الغزو الفكري وهو أعظم ما يواجه المسلمون اليوم فأفسدها حتى التبس عليهم الحق بالباطل، والخطأ بالصواب وراجت عليهم الأباطيل والمنكرات.

كما ظهر أناس تتلمذوا على أيدي اليهود والنصارى فساءهم كما ساء أسيادهم سلامة الإسلام وصفاؤه، وما بذله الأئمة السابقون في تثبيت هذا الصفاء، والبعد عن الانحراف، مما زاد في تمسك المسلمين بدينهم وعجز الاستعمار العسكري قلعه من نفوسهم، بل رأوا أنه كلما اشتدت المحن على المسلمين رجعوا إلى دينهم أكثر، فتمسكوا به واستطاعوا به القضاء على أعدائهم، فهالهم كل هذا، لذا غيروا من خططهم الهجومية، فكان الاستعمار الفكري والعقائدي بدل الاستعمار العسكري، فاشتد الهجوم على الإسلام، وكان من الهجوم الشرس المسعور على الإسلام: إحياء فكرة إنكار السنة، ودعوى التعارض التي يدَّعيها من يعتقد أنها من عند غير الله ﷻ، وعليه فيجوز عنده أن تتعارض السنة النبوية مع ما خلقه الله في الكون مما اكتشف في العلوم التجريبية، وأما من يعتقد أن مصدرها وحيٌ من الله ﷻ فإنه لا يرد عليه هذا الاحتمال، إن معرفة مصدر السنة النبوية أصل في تحرير دعوى التعارض.

(١) سورة البقرة: الآية (١٥١)

ومن الأحاديث التي أخذوا يطعنون فيها وهي في أعلى درجات الصحة " حديث الذبابة " حتى جاز لبعض المعاصرين ممن ينادون بإنكار السنة أن يقول: إنه يصدق الطبيب الكافر، ولا يصدق النبي – ﷺ– في ذلك.

لذا كان لزامًا على المحدثين والفقهاء وعلماء المسلمين وطلاب العلم أن يدرسوا السنة النبوية المطهرة ويستخرجوا ويبينوا ما فيها من معان وإعجاز وعلوم ويردوا ويدحضوا شبهات المفترين والمدعين ببطلان بعض الأحاديث أو مخالفتها للعلم أو العقل أو الطبائع البشرية.

لذا اخترت حديث " الذبابة " ليكون موضوع لبحثي لأهمية موضوعه ولما فيه من إعجاز أذهل العالم بأسره.

والحديث النبوي لم يَدْعُ أحداً إلى صيد الذباب ووضعه عنوة في الإناء، ولم يشجع على ترك الآنية مكشوفة، ولا على الإهمال في نظافة البيوت والشوارع، ولا يتعارض مع الحماية من أخطار انتشار الذباب بأية صورة، ولم يجبر من وقع الذباب في إنائه واشمأز من ذلك على تناول ما فيه: {لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[1]، وهذا الحديث لا يمنع أحداً من القائمين على صحة الناس، ولا من الأطباء من التصدي للذباب ومقاومته بالوسائل المختلفة.

لذا نجد رسولنا الكريم يدعونا إلى البحث والتوجه الي دراسة الذباب لمعرفة ما هو الداء الذي يوجد على أحد جناحي الذباب، وأيضا الي معرفة الدواء أو الشفاء الذي يوجد على الجناح الآخر وذلك لكي يتوصل علماء المسلمين الي الأدوية التي تعالج الأمراض التي ينقلها الذباب.

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٦)

وبدراسة الحديث نجد انه يتضمن علوم الفيزياء، الطب، الصيدلة، الميكروبيولـوجي، الحشرات بالإضافة إلى علوم الدين واللغة.

أهمية البحث:

١ - تكمن أهمية البحث في كونه يتعلق بأصـل من أصـول التشـريع الإسـلامي وهو السـنة النبوية المشرفة.

٢ - بيان أن الشبهات التي أثارها المشككون ومن تبعهم في عصرنا الحاضر ليست جديدة وإنما هي تكرار لشبهات أثارها أعداء الدين من قبل.

سبب اختياره:

هو وجوب الدفاع عن السنة النبوية ضد الافتراءات التي يبثها أعداء الإسلام، وكشف زيفها وبيان خطورتها على المجتمع الإسلامي.

خطة البحث:

وتحتوي على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة

ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، وأما المباحث فهي كالتالي:

المبحث الأول: حقيقة الشبهة وأنواعها وأهداف أصحابها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة الشبهة وأنواعها.

المطلب الثاني: أغراض مثيري الشبهة حول السنة النبوية.

المبحث الثاني: طرق حديث الذباب وتخريج بعضها، وحكم العلماء على الحديث، وأقوال العلماء المسلمين في بيان شرح ألفاظ الحديث.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: طرق حديث الذباب وتخريج بعضها.

المطلب الثاني: حكم الحديث وأقوال العلماء فيه.

المطلب الثالث: أقوال العلماء المسلمين في بيان شرح ألفاظ الحديث.

المبحث الثالث: شبهة مخالفة السنة للطب الحديث " حديث الذبابة نموذجًا ".

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دعوى مخالفة السنة للعلم.

المطلب الثاني: عرض شبهة حديث الذبابة، والرد عليها.

المبحث الرابع: الجانب العملي في الحديث: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الجانب الفقهي في الحديث:

المطلب الثاني: الجانب الطبي في الحديث.

المطلب الثالث: الجانب العلمي في الحديث

وفي خاتمة البحث أشرت في التوصيات إلى مدى الحاجة إلى إنشاء مؤسسات علمية تتخصص بالدراسات الاستشراقية، وتبين للمسلمين خطورتها على دينها وعقيدتها، وإيجاد وسائل الوقاية منها

وأسأل الله سبحانه تعالى أن يعينني في هذا البحث، ويجعله خالص لوجهه الكريم، وأن ينفع به أبناء المسلمين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

حقيقة الشبهة وأنواعها وأهداف أصحابها

المطلب الأول: حقيقة الشبهة وأنواعها

أولاً: تعريف الشبهة لغة واصطلاحًا:

لغة: عرفت الشبهة بعدة تعريفات غير أن هذه التعريفات تدور حول الالتباس- والخلط، والتماثل:

فالشبهة: أصلها: (شَبَهَ) الشِّينُ وَالْبَاءُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى تَشَابُهِ الشَّيْءِ وَتَشَاكُلِهِ لَوْنًا وَوَصْفًا. يُقَالُ شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ. وَالشَّبَهُ مِنَ الْجَوَاهِرِ: الَّذِي يُشْبِهُ الذَّهَبَ. وَالْمُشَبَّهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ: الْمُشْكِلَاتُ. وَاشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ، إِذَا أَشْكَلَا[1].

والشُّبْهةُ: الالتباسُ وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضًا، وبينهم أَشْباهٌ أَي أَشياءُ يتَشابهون فيها، وشَبَّهَ عليه خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره[2].

والشُّبْهَةُ: الالتباسُ. والمُشْتَبِهات من الأمور: المشْكِلاتُ. والمُتشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ[3].

واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميز ولم تظهر ومنه اشتبهت القبلة ونحوها[4].

والشبهة في العقيدة: المأخذ الْمُلَبَّسُ.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٤٣)

(٢) لسان العرب (٤/ ٢١٩٠)

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٢٣٦)

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٣٠٤)

سميت شبهة: لأنها تشبه الحق، وَالشُّبْهَةُ الْعُلْقَةُ وَالْجَمْعُ فِيهِمَا شُبَهٌ وَشُبُهَاتٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ وَغُرُفَاتٍ. وتشابهت الآيات تساوت أيضا وشبهته عليه تشبيها مثل: لبسته عليه تلبيسا وزنا ومعنى فالمشابهة المشاركة في معنى من المعاني والاشتباه الالتباس.

اصطلاحًا:

والشبهة: ما لم يتيقن كونه حراماً أو حلالاً[١].

قال ابن سريج في الودائع: أما "الشبهة" فهي " الشيء المجهول تحليله على الحقيقة وتحريمه على الحقيقة فيجب فيما هذا شأنه التوقف عن التناول لها فإذا لم يجد غنى عنها تناول منها على حسب الكفاية لا على حسب الاستكثار، لأن الله تعالى أباح الميتة عند الضرورة، وهي محرمة فالشبهة دونها انتهى[٢].

وقال أبو هلال العسكري: والشبهة هي الاعتقاد الذي يختار صاحبه الجهل أو يمنع من اختيار العلم وتسمى العبارة عن كيفية ذلك الاعتقاد شبهة أيضا وقد سمي المعنى الذي يعتقد عنده ذلك الاعتقاد شبهة فيقال هذه الحيلة شبهة لقوم اعتقدوها معجزة[٣].

وقال ابن القيم: والشبهة وَارِد يرد على الْقلب يحول بَينه وَبَين انكشاف الْحق لَهُ فَمَتَى بَاشر الْقلب حَقِيقَة الْعلم لم تُؤثر تِلْكَ الشُّبْهَة فِيهِ بل يقوى علمه ويقينه بردهَا وَمَعْرِفَة بُطْلَانهَا وَمَتى لم يُبَاشر حَقِيقَة الْعلم بِالْحَقِّ قلبه قدحت فِيهِ الشَّك بِأول وهلة فان تداركها والا تَتَابَعَت على قلبه أمثالها حَتَّى يصير شاكا مُرْتَابا[٤].

(١) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء (ص: ١٠٥)

(٢) المنثور في القواعد الفقهية (٢/ ٢٢٨)

(٣) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٦٨)

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٤٠)

وأما المتشـــابه فهو: المشـــتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل وتفكر وتدبر وقرائن تُبَيِّنُه وتزيل إشكاله[1].

ثانيًا: أنواع الشبهة:

ذكر العلماء للشبهة عدة أنواع:

١ - شـبهة الفعل: وتسـمى شـبهة الاشـتباه، كوطء المطلّقة البائن وهي في العدّة، أو معتدة الطلاق على مال ظانّا بأنها تحلّ له.

٢ - شبهة المحلّ: وتسمى شبهة حكميّة، وشبهة الملك؛ كوطء أجنبية ظانّا أنها امرأته.

٣- شـبهة العقد: وهي ما وجد فيه العقد صـورة لا حقيقة. كما إذا تزوج امرأة بلا شـهود، أو امرأة لا تحلّ له، كإحدى محارمه، أو جمع بين الأختين، ونحو ذلك.

٤ - شـبهة المِلك: أي المحل، وتسـمى شـبهة حُكمية، كوطء أمةِ ولده ومعتدةِ الكنايات، ووطءِ البائع الأمةَ المبيعة، ووطء أحد الشريكين، ووطء أجنبية ظنًا أنها امرأته[2].

المطلب الثاني: أغراض مثيري الشبهة حول السنة النبوية.

١ - يظهر هدف أعداء الإسلام من وراء دعوتهم الخبيثة: وهى الاكتفاء بالقرآن عن الحديث، فهدفهم هو هدم نصـف الدين أو إن شـئت فقل: "تقويض الدين كله؛ لأنه إذا أهملت الأحاديث والسنن فسيؤدى ذلك إلى استعجام كثير من القرآن على الأمة وعدم معرفة المراد منه، وإذا أهملت الأحاديث واستعجم القرآن فقل: على الإسلام العفاء[3].

---

(١) العدة لأبي يعلى الفراء (١/ ١٥٢)

(٢) التعريفات الفقهية (ص: ١٢٠) - معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء (ص: ٢٥٣)

(٣) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين (ص: ١٥ - ١٦)

وهذا ما يدركه أعداء الإسلام ويهدفون إليه، وفى ذلك يقول المبشر الأمريكي "جب": "الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة، لم يبق من الإسلام شيء وصار أشبه بصبيرة طومسون. وطومسون هذا رجل أمريكي، جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق في يده منها شيء"

٢- لأنّ الإسلام دينٌ عظيمٌ في تشريعه وتأثيره، فالإسلام رسالة الله في الأرض، وهو أكثر الأديان جاذبيةً واستقطاباً للأتباع، لذا فزع الغرب منه، لأنّه إذا ظهرت حقيقته للعالم فسيعارض مصالحهم، ويبطل مخطَّطاتهم التي رسموها في استعباد الأمم والشعوب، ونَهبِ خيراتها، ويقضي على الرأسماليّة، ويحرّم عليهم صناعة الموت والتجارة بالأسلحة والدماء، لأنّه دين العدالة والحقّ والأخلاق.

قال المستشرق البريطاني هاملتون جب في كتابه: (دراسات في حضارة الإسلام): «إنّ التعاليم الاجتماعيّة التي جاء بها محمّد في أساسها إعادةٌ لإحقاق المبادئ الأخلاقيّة التي تشترك فيها ديانات التوحيد، فازداد ترسيخ معنى الأخوّة، ممّا جعل الجميع سواسيةً من حيث القيمة الشخصيّة الفطريّة، دون النظر إلى مكانتهم الدنيويّة ووظائفهم وثرواتهم.

لذا فقد حاولوا تشويهه والطَّعن فيه بشتّى الأساليب، ومن أعظم مفاصل هذا الدين وأصوله السُّنَّة النبويّة، فكانت الأحاديث النبويّة غرضاً يصوّبون سهام الحقد نحوه.

٣- تشكيك المسلمين بدينهم في كتاب "مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين " يقول: إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبى كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية».

تنفيذا لذلك وضعت كتب المستشرقين المتربصين بالإسلام، التي لا تجد فيها إلا الطعن بالإسلام، والتشكيك بمبادئه، والغمز بنبيه محمد -ﷺ-[1].

٤- رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية وأنها مصدر عزة للشرق وللعرب والمسلمين ثم إنهم أيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع أو تذل أو تبيد. وهكذا انصرفت أذهان هؤلاء المبشرين والمستعمرين إلى تشويه وجه هذه الثقافة وإلى الحط من شأنها في نفوس أصحابها[2].

٥- تدمير أخلاق المسلمين، وعقولهم، وصلتهم بالله، وإطلاق شهواتهم: و التي لو رجعوا إليها لسادوا العالم شرقًا وغربًا كما قال "مرماديوك باكتول": "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها سابقًا. بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم"

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله (ص:٥٧)

(٢) التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ص: ٢١٨)

المبحث الثاني

عرض بعض طرق الحديث، وحكم العلماء عليه، وأقوالهم في بيان شرح ألفاظه

المطلب الأول: طرق حديث الذباب وتخريج بعض طرقها.

ذكر (الدكتور/ خليل إبراهيم سلام خاطر، سند الحديث ومتنه في كتابه (الإصابة في حديث الذبابة). وأيضًا نقل عنه الدكتور/ كارم غنيم سند الحديث ومتنه في كتابه الإشارات العلمية في الأحاديث النبوية. ولقد روى الحديث العديد من الرواة مثل:

تتبع صاحب كتاب (الإصابة) سند حديث الذبابة في باب كامل من كتابه وجعل الفصل الأول فيه حول طرق الحديث، والفصل الثاني فيه حول دراسة أسانيد هذا الحديث.

أما طرق الحديث فتناول فيها أربعًا، هي: طرق حديث أبى هريرة، وطرق حديث أبى سعيد الخدري، وطرق حديث أنس بن مالك، وطرق حديث على بن أبى طالب.. أما حديث أبى هريرة فقد رواه البخاري من طريقين، ورواه كل من أبى داود وابن ماجه من طريق واحد، وأخرجه أحمد بن حنبل من عشر طرق، ورواه الدارمي من طريقين، ورواه البيهقي من ثلاث طرق، ورواه كلا من ابن خزيمة، وابن حبان، وابن الجارود من طريق واحد، ورواه الطحاوي من ست طرق، ورواه البغوي من ثلاث طرق، ورواه ابن السكن وابن عبد البر، ...، حتى أحصى صاحب الكتاب أربعًا وثلاثين طريقًا من حيث الإجمال، واثنين وأربعين طريقًا من حيث التفصيل، وقد أثبت رواة الحديث كل هذه الطرق.

ثم تناول طريق حديث أبى سعيد الخدري، وقد أخرجه أحمد بن حنبل من طريقين، وكل من النسائي وابن ماجه وابن حبان وأبى داود الطيالسي والبيهقي وابن قتيبة وأبى عبيد وابن عبد البر والبغوي وعبد بن حميد، من طريق واحد، ورواه الطحاوي من طريقين، وكذلك الطبراني وأبو يعلي والحاكم .. الخ.

وكذلك فعل صاحب الكتاب بالنسبة لطرق الحديث عند أنس بن مالك، وعند على بن أبى طالب.

ثم تناول صاحب الكتاب دراسة أسانيد الحديث من طرقه المختلفة، وأثبت في هذه الدراسة بما لا يدع مجالاً للشك صحة هذا الحديث، فهو إذن حديث صحيح، بل هو في أعلى درجات الصحة.

ثم ختم بقوله: إن هذا الخبر (أي حديث الذباب) قد كثرت طرقه بحيث زادت على خمسين طريقا، كما هو مرسوم في " شجرات الرواية " عنده في الكتاب، لكل من حديث أبى هريرة، وأبى سعيد، وأنس - رضى الله عنهم أجمعين، كما أن هذه الطرق قد وردت بأسانيد صحيحة ورجالها ثقات..

وبهذا يتبين أن هذا الحديث صحيح من حيث الرواية والسند، وأن حكم أئمتنا عليه بالصحة قول صحيح، لا غبار عليه، وأن من خالف وأنكر - من حيث الرواية - فعليه البرهان، وهيهات، وأنى له ذلك، وقد رواه الأئمة الثقات الأثبات، والحمد الله.

طريق حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -:

ويرويه عن أبى هريرة رضي الله عنه: خمسة من التابعين هم: عُبيد بن حنين، مولى بني زريق، وسعيد بن كيسان المقبري، ومحمد بن سيرين الأنصاري البصري، وأبو صالح ذكوان المدني، وثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك رحمهم الله تعالى.

- ومن بعض طرق هذا الحديث:

قال البخاري[1]: حَدَّثَنَا خَالِدُ بن مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بن بِلاَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بن

(١) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق / باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، (٤/ ١٣٠) ح ٣٣٢٠

مُسْــلِم، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ بن حُنَيْنٍ، قَالَ: سَــمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً» .

وقال[1]: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا إِسْــمَاعِيلُ بن جَعْفَرٍ، عَنْ عُتْبَةَ بن مُسْــلِمٍ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ، عَنْ عُبَيْدِ بن حُنَيْنٍ، مَوْلَى بَنِي زُرَيْقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً»

وقال أبو داود[2]: حدَّثنا أحمدُ بن حنبل، حدَّثنا بِشْرُ بن المُفَضَّل، عن ابن عجلانَ، عن سعيد المَقبري، عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ -: "إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أحدِكُم، فإنَّ في أحَدِ جناحَيه داءً وفي الآخر شِفَاءً، وإنَّه يتَّقي بجنَاحِه الذي فيه الدَّاءُ، فَلْيَغمِسهُ كُلَّه"

وكذا قال ابن ماجة[3]: حَدَّثَنَا سُــوَيْدُ بن سَــعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُسْــلِمُ بن خَالِدٍ، عَنْ عُتْبَةَ بن مُسْــلِمٍ، عَنْ عُبَيْدِ بن حُنَيْن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: "إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِكُمْ، فَلْيَغْمِسْهُ فِيهِ ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَفِي الْآخَرِ شِفَاءً".

طرق حديث أبي سعيد الخدري -ﷺ-:

قد بلغت طرق حديث أبي سعيد الخدري -ﷺ- سبعة عشر طريقًا:

ومن بعض طرقه:

قال الإمام أحمد[4]: حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَــعِيدُ بن خَالِدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي طَعَامِ أَحَدِكُمْ فَامْقُلُوهُ».

(١) صحيح البخاري: كتاب الطب/ باب إذا وقع الذباب في الإناء، (٧/ ١٤٠) ح٥٧٨٢.

(٢) سنن أبي داود (٢/ ٣٩٢) ح٣٨٤٤، أول كتاب الأطعمة/ باب في الذُّباب يقع في الطعام.

(٣) سنن ابن ماجة: أبواب الطب/ باب الذباب يقع في الإناء، (٤/ ٥٤٠) ح ٣٥٠٥.

(٤) مسند أحمد: (١٧/ ٢٨٤) ح١١١٨٩.

وقال[١]: حَدَّثَنَا يَزِيدُ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدِ بن خَالِدٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ فَأَتَانَا بِزُبْدٍ وَكُتْلَةٍ، فَأُسْقِطَ ذُبَابٌ فِي الطَّعَامِ، فَجَعَلَ أَبُو سَلَمَةَ يَمْقُلُهُ بِأُصْبُعِهِ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا خَالُ مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ حَدَّثَنِي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَ جَنَاحَيِ الذُّبَابِ سُمٌّ، وَالْآخَرَ شِفَاءٌ، فَإِذَا وَقَعَ فِي الطَّعَامِ فَامْقُلُوهُ، فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ السُّمَّ وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ»

وقال الإمام النسائي[٢]: أَخْبَرَنَا عَمْرُو بن عَلِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بن خَالِدٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَمْقُلْهُ»

طرق حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-:

فقد أخرجه البزار والطبراني برجال ثقات، ورواه ابن قتيبة وأشار إليه الإمام الدارمي رحمه الله وقد بلغت طرق حديث أنس بن مالك رضي الله عنه خمس طرق:

قال ابن قتيبة -رحمه الله تعالى- في (تأويل مختلف الحديث[٣]): حدثنا أبو الخطاب: حدثنا أبو عتاب، قال: حدثنا عبد الله بن المثنى، قال: حدثني ثمامة قال: وقع ذباب في إناء، فقال[٤] أنس بأصبعه، فغمزه في الماء، وقال: "بسم الله"، فعل ذلك ثلاثا وقال إن رسول الله ﷺ أمرهم أن يفعلوا ذلك، وقال: "في أحد جناحيه سم، وفي الآخر شفاء ".

(١)مسند أحمد :ح١١٦٤٣.

(٢) كِتَابُ الْفَرَعِ وَالْعَتِيرَةِ/ الذُّبَابُ يَقَعُ فِي الْإِنَاءِ، (٧/ ١٧٨) ح٤٢٦٢.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٣٣٤)

(٤) قال في النهاية: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام؛ فتقول "قال بيده" أي أخذ، و"قال برجله" أي مشى. النهاية لابن الأثير (٤/ ١٢٤)

ذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- في فتح الباري (حديث أنس رضي الله عنه، من رواية عبد الله بن المثنى، عن عمه ثمامة أنه حدثه، قال: كنا عند أنس، فوقع ذباب في إناء، فقال أنس بإصبعه فغمسه في ذلك الإناء ثلاثًا، ثم قال: بسم الله، وقال إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرهم أن يفعلوا ذلك" أخرجه البزار ورجاله ثقات.

وسند البزار كما في زوائده (كشف الأستار) قال رحمه الله تعالى، حدثنا زياد بن يحيى، ومحمد بن معمر، قالا سهل: حدثنا أبو عتاب: بن حماد، حدثنا عبد الله بن المثنى، عن ثمامة، عن أنس، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال عليه.... الحديث

طرق علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

- فقد أخرجه ابن النجار -رحمه الله تعالى- وفيه فائدة: تبين قضاء الشفاء على الداء ولفظه: " الذباب في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء، فإذا وقع في الإناء، فارسبوه ، فيذهب شفاؤه بدائه. كما جاء في الفتح الكبير[1]: قال: أخرجه (ابْن النجار) عَن عَليّ.

المطلب الثاني: حكم الحديث وأقوال العلماء فيه.

وبعد دراسة الأسانيد تبين أن هذا الحديث ثبت من تراجم رواته الثقات من علماء هذه الأمة، من زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، إلى زمن المصنفين، وليس في رواية واحد منهم: رجل ساقط، أو وضاع، أو ضعيف، أو متهم، أو منكر، بل هم في مجموعهم في الدرجات العليا من الثقة، والضبط، والأمانة، والإمامة، والرواية.

لذا فليس في هذا الحديث في مجموعه ما يوجب التوقف والتردد، فضلاً عن الاستغراب والإنكار، إن الخبر إذا ورد من طريق صحيح ثابت ـ ولم يكن مما ألفته النفوس قد تتوقف في

(١) (الفتح الكبير) (٢/ ٢٥٩)

أمره حتى ينكشف لها أمره، أو يؤيده مؤيد، وهذا عند أصحاب الفطر السليمة، والقلوب الحية الخاشعة المؤمنة، والنفوس الصافية، والعقول المستنيرة، فكيف وقد ورد هذا الحديث من طرق كثيرة زادت على خمسين طريقًا أو أكثر، ورواتها في الغاية من الحفظ والضبط والإتقان والتثبت والأمانة، وحسن الأداء.

... وبهذا فقد تبين وثبت أن هذا الحديث المُعجز صحيح من حيث الرواية والسند، وأن حكم أئمتنا عليه بالصحة قول صحيح سليم، لا غبار عليه، وأن من خالف وأنكر ــ من حيث الرواية - فعليه البرهان وهيهات، وأنى له ذلك، وقد رواه الأئمة الثقات الأثبات، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الثالث: أقوال العلماء المسلمين في بيان شرح ألفاظ الحديث.

قال ابن حجر: قوله: (بَابُ إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي الْإِنَاءِ) الذُّبَابُ: بضم المعجمة وموحدتين وتخفيف، قال أبو هلال العسكري: الذباب واحد والجمع: ذِبَّانٌ كغربان، والعامة تقول ذُبَابٌ للجمع، وللواحد: ذُبَابَةٌ بوزن قُرَادَةٍ وهو خطأ، وكذا قال أبو حاتم السجستاني: إنه خطأ، وقال الجوهري: الذباب واحدة ذُبَابَةٍ ولا تقل ذِبَّانَةٌ، ونقل في المحكم عن أبي عبيدة عن خلف الأحمر: تجويز ما زعم العسكري أنه خطأ، وحكى سيبويه: في الجمع: ذُبٌّ.

قال: وقوله: (إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ) قيل: سمي ذبابا لكثرة حركته واضطرابه[1].

وقد أخرج أبو يعلى[2] عن ابن عمر -رضي الله عنهما- مرفوعًا قال: «عُمُرُ الذُّبَابِ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً، وَالذُّبَابُ كُلُّهُ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَ» وسنده لا بأس به.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٠)

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٢٣٠)

قال الجاحظ: كونه في النار ليس تعذيبا له بل ليعذب أهل النار به.

وقال الجوهري: يقال إنه ليس شيء من الطيور يلغ إلا الذباب.

وقال أفلاطون: الذباب أحرص الأشياء حتى إنه يلقي نفسه في كل شيء ولو كان فيه هلاكه ويتولد من العفونة ولا جفن للذبابة لصغر حدقتها والجفن يصقل الحدقة فالذبابة تصقل بيديها فلا تزال تمسح عينيها ومن عجيب أمره أن رجعيه يقع على الثوب الأسود أبيض وبالعكس وأكثر ما يظهر في أماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو من أكثر الطيور سفادا ربما بقي عامة اليوم على الأنثى، ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الشافعي: لأي علة خلق الذباب؟ فقال: مذلة للملوك وكانت ألحت عليه ذبابة، فقال الشافعي: سألني ولم يكن عندي جواب فاستنبطته من الهيئة الحاصلة.

وقال أبو محمد المالقي: ذباب الناس يتولد من الزبل وإن أخذ الذباب الكبير فقطعت رأسها وحك بجسدها الشعرة التي في الجفن حكا شديدا أبرأته وكذا داء الثعلب وإن مسح لسعة الزنبور بالذباب سكن الوجع.

قوله: " فليغمسه كله ": أمر إرشاد لمقابلة الداء بالدواء، وفي قوله: " كله " رفع توهم المجاز في الاكتفاء بغمس بعضه، قوله: (ثم ليطرحه) جاء في رواية سليمان بن بلال (ثم لينزعه)[1].

قوله: (فإن في إحدى جناحيه) في رواية أبي داود: (فإن في أحد)، والجناح: يذكر ويؤنث وقيل: أنث باعتبار اليد، وجزم الصغاني بأنه: لا يؤنث، وصوب رواية (أحد) وحقيقته للطائر، ويقال لغيره على سبيل المجاز، كما في قوله: { وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٠).

الرَّحْمَةِ[1]} ووقع في رواية أبي داود، وصححه ابن حبان من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة: " وأنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء" ولم يقع لي في شيء من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمله فوجده يتقي بجناحه الأيسر فعرف أن الأيمن هو الذي فيه الشفاء والمناسبة في ذلك ظاهرة وفي حديث أبي سعيد المذكور " أنه يقدم السم ويؤخر الشفاء".

ويستفاد من هذه الرواية تفسير الداء الواقع في هذا الحديث وأن المراد به السم، فيستغنى عن التخريج الذي تكلفه بعض الشراح، فقال: إن في اللفظ مجازا وهو كون الداء في أحد الجناحين، فهو إما: من مجاز الحذف، والتقدير: فإن في أحد جناحيه سبب داء، وإما: مبالغة بأن يجعل كل الداء في أحد جناحيه لما كان سببا له.

وقال آخر: يحتمل أن يكون الداء ما يعرض في نفس المرء من التكبر عن أكله حتى ربما كان سببا لترك ذلك الطعام وإتلافه، ويكون الدواء ما يحصل من قمع النفس وحملها على التواضع.

وقوله: (وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ) في رواية أبي ذر (وَفِي الْأُخْرَى) وفي نسخة (وَالْأُخْرَى) بحذف حرف الجر وكذا وقع في رواية سليمان بن بلال (فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْآخَرِ شِفَاءٌ).

(١) سورة الإسراء: الآية (٢٤).

المبحث الثالث

شبهة مخالفة السنة للطب الحديث "حديث الذبابة نموذجًا"

المطلب الأول: دعوى مخالفة السنة للعلم.

إنه عبر التاريخ لم يكن هناك بروز لفكرة التعارض أو النزاع بين العلم والدين؛ لأنه في أحقاب كثيرة كانت الهيمنة للدين وتوجيهاته، وبداية قضية الصدام كانت في أوروبا أثناء عصر سيطرة الكنيسة، تحديدًا مع اضطهاد الكنيسة لرجال العلم التجريبي، فكانت ردة الفعل في عصر التنوير أو عصر النهضة الأوربية، وبداية الوقوف بحزم من رجال العلم ضد سيطرة الكنيسة المطلقة، فالكنيسة كانت بيدها كل السلطات الدينية والعلمية، وكانت كل الآراء العلمية لا تخرج ولا يعترف بها إلا بإذن الكنيسة، وكانت تُحرّم على الناس البحث وإبداء آرائهم في العلوم الطبيعية، إذ كان يُعدّ كفرا بالله!

إذن فالكنيسة الأوربية هي المسؤول الأول عن ظهور دعوى التعارض بين العلم والدين بحماقاتها التي جعلت العلم بديلا عن الدين؛ وذلك حين حاربت العلم والعلماء وخيرت الناس بين اتباع الخرافة للمحافظة على الدين (دينها الذي ابتدعته وشكّلته على حسب أهوائها)، فاختار العلماء الماديون العلم المادي لما ثبت إليهم من حقائق؛ لأنهم يعرفون قدره، ويعلمون أنه أحق بالاتباع من الخرافة التي تمسكت بها الكنيسة.

والحقيقة أن العلم ما هو إلا تفسير فقط للحقائق، يفسر كيف تحدث الأشياء ولكنه لا يفسر لماذا كانت الأشياء على هذا النحو.

أما في الإسلام فإن ما يُسمى بالنزاع بين العلم والدين أمر لم يظهر كقضية في الحضارة الإسلامية، بل قد اعتبر العلماء الطبيعيون والفلكيون والرياضيون أنفسهم في عبادة لا تقل عن عبادة إخوانهم علماء الدين.

ولكن من ينشر هذه الكذبة ويُروِّج لها في عالمنا الإسلامي هم الملاحدة والعلمانيون العرب، فعندما اتصل العالم الإسلامي وانفتح على الغرب، وجدوا التطور الغربي تزامن مع تركهم لخرافاتهم، عندها ظن الملاحدة والعلمانيون العرب أن دين الغرب مثل ديننا أو أن ظروفهم مثل ظروفنا، فبدأوا في بث حركاتهم التشكيكية ومحاولة صنع صراع وهمي بين الدين والعلم.

فإنكار السنة النبوية بحجة أن العلم لم يُثبت ذلك ولم يكتشفه حتى الآن ليس منهجًا جديدًا، بل هو دأب أهل الباطل من قديم، كما قال الله ﷻ " بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ[1] " فعدم العلم ليس علمًا بالعدم، وهذا يزيل الإشكال ويدفع توهم التعارض من هذه الجهة.

وأما الأمر الآخر وهو معارضة بعض الدراسات العلمية لبعض الأحاديث النبوية فهو محل الإشكال، ومحل تصور المسألة ودراستها.

ولما كانت السنة النبوية مصدرًا معرفيًا يقينيًا، وكان العلم التجريبي الصحيح الثابت بقواعده الصحيحة كذلك، فإن وجود التعارض مستحيل قطعًا، واحتمال وجود التعارض يرجع إلى أمرين أساسين:

الأول: أن يكون هناك خطأ في نسبة الحديث للسنة، كأن يكون ضعيفًا، أو موقوفًا، أو يكون الحديث صحيحا مرفوعًا، ولكن الخطأ واقع في فهم الحديث وتوظيفه في المعنى المراد منه.

الثاني: أن يكون هناك خطأ في نتيجة العلم التجريبي نفسه، أو خطأ في الاستدلال بنتيجة العلم، كالاستدلال بالفرضيات والنظريات الضعيفة أو النظريات غير المنتهية.

---

(١) سورة يونس: الآية (٣٨)

فيكون الإشكال متحققًا فقط في صورة واحدة وهي:

أن يكون الحديث صـحيحًا، وفهمه صـحيحًا، ومعناه مخالفًا لحقيقة علمية تجريبية ليست فرضية ولا نظرية.

فالسـنة النبوية مصـدر معرفي يقيني مفيد للعلم النظري" إن صـح الحديث واحتفت به القرائن"، والعلم التجريبي إن صح حتى صار حقيقة علمية، فهو مصدر معرفي يقيني أيضًا، وتعارض العلميين القطعيين أمر مستحيل عقلًا.

فإذا حدث تعارض بين ظني وقطعي: التعارض بين الظني والقطعي وراد ولا مشـكلة فيه؛ فعندها نقدم القطعي مطلقًا سواء كان من العلم أو الدين.

وإذا حدث تعارض بين ظني وظني: فإننا نبحث عن مُرجح خارجي بحيث تكون أدلة أحدهما أقوى من الآخر، وعندها نقدم الظني الراجح ونترك الظني المرجوح سواء كان من العلم أو الدين.

وإذا حدث تعارض بين قطعي وقطعي: فإننا حينئذ نبحث في أدلة الاثنين وسـنجد أن أحدهما قطعي والآخر ظني ولكنه كان يُتوهم بأنه قطعي ولابد أن نجد ذلك؛ لأن تعارض القطعي مع القطعي غير وارد وغير مكن بأي حال من الأحوال؛ لأن الله تعالى خالق الكون هو الذي أنزل الشرائع وهو الذي وضع قوانين العلم المادي أيضًا، وتعارضهم يعني أن هناك تناقض وهذا مُحال على الله ﷻ.

فتعارض السـنة النبوية مع العلم التجريبي تتذرع بها كافة المدارس الفكرية المعاصـرة التي لها موقف سـلبي من السـنة النبوية، ولما كان هذا الإداء موافقًا لأغراضـهم وهواهم في إنكار السنة في إنكار السنة صاروا يظهرونه ويهتمون به.

وقد نشـر جماعة من المشـككين في السـنة النبوية بعض المقالات والكتب وذكروا فيها أمثلة شككوا فيها بالسنة عمومًا، وادعوا معارضتها للعلم التجريبي خصوصًا.

ومن ذلك حديث الذبابة: وهذا الحديث من أكثر الأحاديث التي اعترض عليها وادُّعي معارضتها للعقل، والعلم.

إن النبي ﷺ تكلم في علم الحشرات النافع والضار ومنها الذباب، وهذا الإعجاز العلمي في حديث الذباب لم يكن العلم الحديث قد توصل إليه، وليس هذا فقط بل تعرَّض الحديث للرد والطعن فيه لمخالفته للعقل والبحث السطحي، وبان في النهاية أنه يستخرج من جناحي الذبابة مضاد حيوي للوقاية والعلاج من أحد جناحيها، وفي الجناح الآخر داء، فليس الحديث صحيحا فحسب، بل ومعجزة تستفيد منها المكتشفات الطبية الحديثة، سواء أكان ذلك في البداية لإثبات الحديث أو لبيان مجانبته للصواب بهدف الطعن.

أما بيان أثر الحديث النبوي وإعجازه في العلم الحديث: لو نظر شخص للواقع لقال: إن الذباب يتكاثر في أماكن الزبائل حتى رد د. رشيد رضا الحديث بعد كلام عن ما يسببه من أمراض وقال: وحديث الذباب " غريب عن الرأي وعن التشريع جميعا، أما الرأي فلا يمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحي الذبابة، ثبت في العلم الحديث أن الذباب يحتوي على في أحد جناحيه جرثومه وضدها في الجناح الآخر وهذا ما أشار إليه النبي -ﷺ- .

فسبحان الله كيف خلق كل شيء في الكون من زوجية واضحة ليبقى تعالى متفردا بالوحدانية، ومن الجراثيم الفيروسية التي تصيب الإنسان عن طريق حمل الذباب لها كالحصبة، وأمراض الغدة النكافية، ونفط الحمى، والجدري، والحمى الصفراء، وبعض الأورام الخبيثة وبعض أمراض الجهاز العصبي المركزي المزمن، وقد ثبت علميا أن الذباب يفرز جسيمات صغيرة مفترسة الجراثيم.

وقد تم عزل مضاد حيوي من الذباب ومادة أخرى من الجناح الآخر للذبابة فيها مرض يداويه المضاد الحيوي السابق، وحتى وجد علاج لدغ الزنبور أو العقرب أو الجروح بالمضاد المستخرج من الذباب ينفع نفعا بينا، مع مراعاة أن الغمس يكون لكامل الذبابة.

ومجمل دعوى معارضة هذا الحديث للعلم التجريبي تتلخص في ثلاثة أمور:

الأول: الزعم بأن الحديث يدل على عموم نفع جناح الذباب لجميع الأمراض، لأنه وصفه بأنه دواء.

الثاني: الزعم بأن الحديث يدل على تعميم هذه الصفة على كل الحشرات الطائرة، وليس خاصًا بالذباب المعروف.

الثالث: أن الطب لم يكتشف وجود داء، ولا دواء في أجنحة الذباب.

أما الأول، والثاني: فهما تحكم محض، وزعم باطل، لم يقله أحد من علماء المسلمين، فالدواء المذكور، خاصٌ بذاك الداء الموجود في جناحه الآخر فقط، وليس عامًا في جميع الأمراض، وهو ما يدل عليه سياق الحديث نفسه، وهو ما فهمه علماء المسلمين.

وأما الوجه الثالث: فهو استدلال بعدم العلم على العلم بالعدم، وهي مغالطة عقلية تكرر بيان غلطها.

قال المعلمي: وعلماء الطبيعة يعترفون بأنهم لم يحيطوا بكل شيء علمًا، ولا يزالون يكتشفون الشيء بعد الشيء، فبأي إيمان بنفي أبو رية وأضرار به أن يكون الله تعالى أطلع رسوله ﷺ على أمر لم يصل إليه علم الطبيعة بعد؟ هذا وخالق الطبيعة ومدبرها هو واضع الشريعة، وقد علم سبحانه أن كثيراً من عباده يكونون في ضيق من العيش، وقد يكون قوتهم اللبن وحده، فلو أرشدوا إلى أن يرقبوا كل ما وقعت فيه ذبابة لأجحف بهم ذلك. فأغيثوا بما في الحديث، فمن خالف هواه وطبعه في استقذار الذباب فغمسه تصديقًا لله ورسوله دفع الله عنه الضرر، فكان في غمس ما لم يكن انغمس ما يدفع ضرر ما كان انغمس، وعلماء الطبيعة يثبتون لقوة الاعتقاد تأثيراً بالغًا، فما بالك باعتقاد منشؤه الإيمان بالله ورسوله؟[1].

(١) الأنوار الكاشفة (ص:٢٢١)

المطلب الثاني

عرض شبهة حديث الذبابة والرد عليها

-الشُّبه التي أثيرت حول الحديث والرد عليها :

طعن أهل البدع والضلال قديمًا في صحته بحجة أنه مخالف للعقل، والواقع، وأثاروا الشبه من حوله فانبرى للرد عليهم، وكشف شبههم، ودحضها علماء أجلاء، فواجهوهم بالحجج الدامغة، والأدلة البينة، فأزالوا تلك الشبه، وبينوا فسادها، فمن أولئك الإمام ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث)، وممن دافع عن الحديث الإمام الطحاوي – رحمه الله – في كتابه (مشكل الآثار)، والإمام الخطابي في (معالم السنن) ونقله عنه الحافظ في "الفتح"، والإمام ابن القيم في (زاد المعاد)، وجاء المُحَدَثُون وأعداء السنة فطعنوا في هذا الحديث، كما طعن فيه أسلافهم، أهل الابتداع قبلهم، فلم ينزجروا بردود العلماء السابقين، فزادوا على شبه أولئك شبهًا أخرى أنتجتها عقولهم السقيمة التي جهلت حرمة النصوص، وأساءت فهمها، فسارعت إلى الإنكار والرد والطعن، كما هو ديدنها، ومنهجها بكل نص لا يتماشى مع أهوائهم وعقولهم.

وهذا ملخص شبهاتهم حول هذا الحديث التي رددها أعداء السنة :

أولاً: أن إخراج البخاري للحديث لا يمنع من التماس علة في رجاله تمنع من صحته، وهذه العلة – كما زعموا – هي كونه من رواية أبي هريرة فقد ردوا له أحاديث كثيرة، فإن أحد الكتاب العلمانيين كتب عنه وقال إن أبا هريرة -رضي الله عنه- كان رجلاً يمشي على ملء بطنه مع النبي – ﷺ- وكان همه الأكل والشرب، وكان مزاحًا، ولو أن أحداً أعطاه مالاً أو أطعمه فإنه على استعداد أن يحدثه بأحاديث لم يقلها النبي – ﷺ-. وهو حديث آحاد يفيد الظن فقد انفراد ابن حنين به، وقد تكلم فيه من وجوه عدة.

ويجاب على هذه الشبه بما يلي:

١ - لم ينفرد البخاري -رحمه الله- بإخراج هذا الحديث، كما أن أبا هريرة لم ينفرد بروايته عن النبي ﷺ، وعُبيد بن حُنين، لم ينفرد بروايته عن أبى هريرة أيضًا.

فالحديث كما سبق في التخريج قد أخرجه أبو داود، وابن ماجة، والدارمي، وأحمد، والبيهقي، وابن خزيمة، وابن حبان، والبغوي، وابن الجارود، من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه.

وأخرجه النسائي، وابن ماجة، وأحمد، والبيهقي، وابن حبان، والبغوي من حديث أبى سعيد الخدري -رضي الله عنه-.

وأخرجه البزار، والطبراني من حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه-، ورواه عن أبى هريرة جماعة من التابعين غير عبيد بن حنين وهم: سعيد المقبري، وثمامة بن عبد الله بن أنس، ومحمد بن سيرين، وغيرهم.

يتبين من ذلك لكل منصف وباحث ينشد الحق ويطلبه أن حديث الذباب روي من طرق عدة وعن غير واحد من الصحابة.

يقول الدكتور أبو شهبة[1]: ولم أجد لأحد من النقاد وأئمة الحديث طَعْنًا في سنده فهو في درجة عالية من الصحة، وكل ما وقع فيه من الطعن من بعض المتساهلين والجهلاء والمبتدعة إنما هو من جهة متنه ومدلوله.

ولو لم يرد هذا الحديث إلا في صحيح البخاري، لكان ذلك كافيًا للحكم عليه بالصحة لما علم من تلقي الأمة لأحاديثه بالقبول، ولم يستدرك هذا الحديث على البخاري أحد من أئمة الحديث، ولم يقدح في سنده أي منهم، بل هو عندهم مما جاء على شرط

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين (ص: ٣٣٨).

البخاري في أعلى درجات الصحة، وحتى لو تفرد به أبو هريرة لما كان لطعنهم فيه من سبيل وحجة، لما ثبت من حجيته وجلالته وحفظه، والتحقيق العلمي يثبت صدق أبي هريرة، وأنه بريء من طعن الطاعنين، وأن الطاعن فيه هو الأحق بالطعن فيه، وأما عُبَيد بن حُنَين ثقة لا مطعن فيه، ولم أقف على من طعن في توثيقه من العلماء، ولو تفرد برواية الحديث عن أبى هريرة لقبل تفرده، فإن تفرد مثله لا يقدح في صحة الحديث.

وأما كونه من أخبار الآحاد، قول مردود، وحجة داحضة، فإن الأدلة شاهدة من حديث النبي –ﷺ– وأقوال السلف الصالح بل وإجماعهم كما نقله غير واحد من الأئمة كالشافعي والنووي والآمدي وغيرهم على الاحتجاج بحديث الآحاد، وقبول الاستدلال به في العقائد والعبادات.

ثانيًا: غرابته عن الرأي والتشريع:

القول بأنه غريب عن التشريع؛ لأنه ينافي قاعدة تحريم الضار واجتناب النجاسة، وهو قول السيد رشيد رضا.

الرد على الشبهة: وأما هذا الادعاء فيرده؛ بأن الحديث لم ينف ضرر الذباب بل أثبت ذلك حيث ذكر أن في أحد جناحيه داء، ولكنه زاد ببيان أن في الآخر شفاء، وأن ذلك الضرر يزول إذا غمس الذباب كله.

قال ابن القيم[1]: واعلم أن في الذباب عندهم قوة سمية يدل عليها الورم، والحكة العارضة عن لسعه، وهي بمنزلة السلاح، فإذا سقط فيما يؤذيه، اتقاه بسلاحه، فأمر النبي ﷺ أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله سبحانه في جناحه الآخر من الشفاء، فيغمس كله في الماء والطعام، فيقابل المادة السمية المادة النافعة، فيزول ضررها، وهذا طب لا يهتدي إليه

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٨٤).

كبار الأطباء وأئمتهم، بل هو خارج من مشكاة النبوة، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق يخضع لهذا العلاج، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية.

وقال الشوكاني[١]: والفائدة في الأمر بغمسه جميعا هي أن يتصل ما فيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر.

- والقول بنجاسة الذباب لا دليل عليه؛ لأنه لا ملازمة بين الضرر والنجاسة، ولذا كان هذا الحديث من أدلة العلماء على أن الماء القليل لا ينجس بموت ما لا نفس له سائلة فيه، إذ لم يفصل الحديث بين موت الذباب، وحياته عند غمسه.

قال الإمام الخطابى[٢]: " فيه من الفقه: أن أجسام الحيوان طاهرة، إلا ما دلت عليه السنة من الكلب وما لحق به في معناه. وفيه دليل: على أن ما لا نفس له سائلة إذا مات في الماء القليل لم ينجسه، وذلك أن غمس الذباب في الإناء قد يأتي عليه. فلو كان نجسه إذا مات فيه، لم يأمر بذلك. لما فيه من تنجس الطعام، وتضييع المال، وهذا قول عامة العلماء".

إلاّ أن الشافعي قد علق القول فيه فقال في أحد قوليه إن ذلك ينجسه.

وقد روي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال في العقرب يموت في الماء أنها تنجسه وعامة أهل العلم على خلافه.

قال الخطابي: وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أربها إلى ذلك.

---

(١) نيل الأوطار (١/ ١٣٨).

(٢) معالم السنن (٤/ ٢٥٨).

وهذا القول يناهض الحديث، بل ويخالف الواقع من اجتماع كثير من المتضادات في الجسم الواحد كما هو مشاهد معروف. وقد أجاب عن ذلك :

فقال قلت(١): قد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له. وقال: كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء في جناحي الذباب، وكيف تعلم ذلك في نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء؟ وأمثال ذلك وهذا سؤال جاهل أو متجاهل، فإن الذي يجد نفسه ونفوس عامة الحيوان قد جمع الله فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت، ثم يرى الله سبحانه قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع، وجعل منها قوى الحيوانات التي بها فسادها وصلاحها لجدير أن لا ينكر الداء والشفاء في جزأين من حيوان واحد، وأن الذي ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة، وأن تعسل فيه، وألهم الذرة أن تكسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه، هو الذي خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما أراد من الابتلاء الذي هو مدرجة العبد، والامتحان الذي هو مضمار التكليف، وله في كل شيء حكمة وعنوان صواب وما يذكر إلا أولو الألباب.

وقال ابن الجوزي(٢): ما نقل عن هذا القائل ليس بعجيب فإن النحلة تعسل من أعلاها وتلقي السم من أسفلها والحية القاتل سمها تدخل لحومها في الترياق الذي يعالج به السم والذبابة تسحق مع الإثمد لجلاء البصر.

ثالثًا: أما الزعم بأنه ليس من عقائد الإسلام ولا من عباداته، ولا دخل له في التشريع، ولم يلتزم المسلمون العمل به، بل لم يعمل به أحد منهم؛ لأنه لا دخل له في التشريع وإنما هو من أمور الدنيا التي يجوز على النبي – ﷺ – فيها الخطأ، كحديث " تأبير النخل ".

---

(١) معالم السنن (٤/ ٢٥٩).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٢).

الرد على الشـــبهة: أن هذا الكلام الغرض منه تحقير الحديث والتهوين من أمره وتنفير الناس عنه، وبالتالي فإن من ردَّه أو ارتاب فيه لم يؤثر ذلك على دينه في شـــيء، وهو أمر في غاية الخطورة والتلبيس؛ لأن أمور الدنيا منها ما هو خاضع لأحكام الشرع، فهي داخلة تحت الأمر بطاعة رســـول الله – ﷺ – والنهي عن مخالفته، وأمره – ﷺ – قد يكون واجبًا وقد يكون مستحبًا، وقياس حديث الذباب وغيره من أحاديث الطب النبوي على أحاديث "تأبير النخل" قياس غير صحيح؛ لأن معظم أحاديث الطب إن لم تكن كلها ساقها النبي – ﷺ – مســاق القطع واليقين مما يدل على أنها بوحي من الله ســبحانه وداخلة في التشــريع، فقال في حديث الذباب: « فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَفِي الآخَرِ دَوَاءً» فأتى بـــ (إِنَّ) المفيدة للتأكيد، بخلاف أحاديث تأبير النخل التي ساقها –صلى الله عليه وسلم– مساق الرجاء والظن؛ لأنها في أمور الدنيا ومعايشها فقال: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» وفي رواية (مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَـيْئًا) وفرق كبير بين الأســلوبين، ولذلك قال الإمام النووي[1]: عند شــرحه لقول النبي – ﷺ – في حديث تأبير النخل: (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ[2]).

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١١٦)

(٢) صحيح مسلم: كتاب الْفَضَائِلِ/ بَابُ وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرْعًا، دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَايِشِ الدُّنْيَا، عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ، (٤/ ١٨٣٥) ح (٢٣٦٢)، قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بن الرُّومِيِّ الْيَمَامِيُّ، وَعَبَّاسُ بن عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعَنْبَرِيُّ، وَأَحْمَدُ بن جَعْفَرٍ الْمَعْقِرِيُّ، قَالُوا: حَدَّثَنَا النَّضْرُ بن مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ، حَدَّثَنَا أَبُو النَّجَاشِيِّ، حَدَّثَنِي رَافِعُ بن خَدِيجٍ، قَالَ: قَدِمَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، يَقُولُونَ يُلَقِّحُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟» قَالُوا: كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: «لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا» فَتَرَكُوهُ، فَنَفَضَتْ أَوْ فَنَقَصَتْ، قَالَ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» قَالَ عِكْرِمَةُ: أَوْ نَحْوَ هَذَا. قَالَ الْمَعْقِرِيُّ: فَنَفَضَتْ وَلَمْ يَشُكَّ.

قال العلماء: قوله – ﷺ – (من رأي): أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده – ﷺ – ورآه شرعًا يجب العمل به، وليس أبار النخل من هذا النوع بل من النوع المذكور قبله "ـ

فما وقع في حديث التأبير كان ظنًا منه – ﷺ – وهو صادق في ظنه وخطأ الظن ليس كذبًا، وقد رجع عن ظنه الذي ظنه في قوله : (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، فَلْيَصْنَعُوهُ) بخلاف ما جاء في حديث الذباب، فإنه أخبر بأن في أحد جناحيه داء والآخر شفاء وهذا لا يكون إلا بوحي من الله تعالى، وهو أمر لا يحتمل خلاف ما أخبر به، ثم أمر بغمس الذباب، بناء على العلة السابقة، ولم يأت ما ينقض هذا الأمر ولا ذاك فوجب التسليم والإذعان وعدم الإنكار.

– وأما الادعاء أن المسلمين لم يلتزموا به، ولم يعمل به أحد منهم، ادعاء كاذب يخالفه ما ثبت عن بعض الصحابة، والتابعين، ودعوى جريئة جاء الحق بخلافها.

فقد ذكر الحافظ في الفتح[1]: أن عبد الله بن المثنى روى عن عمه ثمامة أنه حدثه قال: " كنا عند أنس فوقع ذباب في إناء، فقال أنس بأصبعه فغمسه في ذلك الإناء ثلاثًا ثم قال: بسم الله، وقال: إن رسول الله – ﷺ– أمرهم أن يفعلوا ذلك "، وقال: أخرجه البزار ورجاله ثقات ورواه حماد بن سلمة عن ثمامة.

وروى أحمد[2] من طريق سعيد بن خالد قال: " دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ فَأَتَانَا بِزُبْدٍ وَكُتْلَةٍ، فَأُسْقِطَ ذُبَابٌ فِي الطَّعَامِ، فَجَعَلَ أَبُو سَلَمَةَ يَمْقُلُهُ بِأُصْبُعِهِ فِيهِ، فَقُلْتُ: يَا خَالُ مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ حَدَّثَنِي، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَ جَنَاحَيِ

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٥٠).

(٢) مسند أحمد (١٨/ ١٨٦).

الذُّبَابِ سُمٌّ، وَالْآخَرَ شِفَاءٌ، فَإِذَا وَقَعَ فِي الطَّعَامِ فَامْقُلُوهُ، فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ السُّمَّ وَيُؤَخِّرُ الشِّفَاءَ».

فأنس صحابي وأبو سلمة تابعي، وقد عملا بمضمون هذا الحديث، فكيف يزعم بأن أحداً من المسلمين لم يعمل به؟

هذه دعوى وغيرها كثير، يطلقها أولئك القوم من غير علم ولا تحقيق؛ ليخدعوا بها السذج من الناس، ويحدث من جرائها شر وفساد عريض.

والقول بأن الحديث لا دخل له في التشريع، وأنه من أمور الدنيا.

الرد عليه: أنه قول يحتاج إلى ما يدل عليه، فالحديث فيه أمر إرشادي من النبي -ﷺ-، لعلاج حالة إذا وقعت ولا حيلة للمرء في دفعها، وهي "إذا وقع الذباب" أي رغمًا عنكم، ولم يكن لكم حيلة في دفعة، وأردتم الانتفاع بما وقع فيه من طعام أو شراب، فعليكم بغمسة كله.

فالأمر بالغمس أمر إرشاد لا أمر إ يجاب، يأثم تاركه، إذ لم يقل بذلك أحد[1].

ثالثًا: في تصحيح الحديث تنفير للناس عن الإسلام..

وأما القول بأن تصحيح الحديث من المطاعن التي تنفر عن الإسلام، وتكون سببًا في ردة بعض ضعاف الإيمان، وأنه يفتح على الدين ثغرة يستغلها الأعداء للاستخفاف بالدين والمتدينين، فهو قول يحمل في طياته استدراكًا على النبي -ﷺ- الذي كان أحرص الناس على الدين، وأنصح الخلق للخلق، وأكثر العباد خشية وتقوى لله، وهو الذي حمى جناب الإسلام، وسد كل منافذ الطعن والقدح فيه، وكان أحرص الناس على هداية الخلق وإبلاغهم رسالة الله، وشريعة الله تعالى ليس فيها ما ينفر، لأنها شريعة تقبلها القلوب السليمة، وتقتنع بها العقول الصحيحة. وكيف يكون في شريعة الله ما ينفر وهو القائل ﷺ:

(١) كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها (ص: ١١٠٩).

"بشروا ولا تنفروا. ويسروا ولا تعسروا".

وهل يعقل أن تكون أقواله التي نطق بها، وأفعاله التي فعلها منفرة للناس؟!

فما هو وجه التنفير في الحديث؟ وما هي الثغرة التي يفتحها على الدين حتى يستغلها أعداء الإسلام؟ هل لأنه لا يتماشى مع أذواقنا وأمزجتنا ؟ وهل سيقف الأعداء فيما يثيرونه حول الإسلام عند حديث الذباب وسيكتفون بذلك، ونحن نراهم يثيرون الشكوك والشبه في أمور لا تخفى على أحد، بل حتى القرآن الذي نقل بالتواتر جيلاً بعد جيل لم تسلم نصوصه وأحكامه من شبههم وتشكيكهم، فهل إذا رددنا حديث الذباب بل ورددنا السنة كلها، سكيف عنا ذلك شرهم ويستجيبون لديننا ويلتزمون بشريعتنا.

لماذا هذا التنازل وهذه الانهزامية ؟ وهذه الروح الهزيلة، التي تنطلق من موقف الضعيف الخائف مما عنده، ما دمنا موقنين بأن ما عند الله حق، وما جاءنا به رسولنا -ﷺ- صدق، وما يقذف به أعداء الإسلام شبه باطلة داحضة لا أساس لها من الصحة .

ثم إن الأمر بغمس الذباب في الإناء أو الطعام الذي وقع فيه، إنما هو للإرشاد والتعليم وليس على سبيل الوجوب، وليس في الحديث أبداً أمر بالشرب من الشراب، ولا أمر بالأكل من الطعام بعد الغمس والإخراج، بل هذا متروك لنفس كل إنسان فمن أراد أن يأكل منه أو يشرب فله ذلك، ومن عافت نفسه ذلك فلا حرج عليه، ولا يؤثر ذلك على دينه وإيمانه مادام مصدقًا بحديث رسول الله -ﷺ-، والشيء قد يكون حلالاً ولكن تعافه النفس كالضب مثلاً، فقد كان أكله حلالاً ومع ذلك عافته نفس رسول الله -ﷺ-، ولم يأكل منه لأنه لم يكن بديار قومه .

والعلماء والمحدثون حين يصححون الحديث رواية ومعنىً لا يعنون عدم حض الناس على مقاومة الذباب وتطهير البيوت والطرقات، وعدم حماية طعامهم وشرابهم منه،

كلا فالإسلام دين النظافة ودين الوقاية، وقد جاء الإسلام بالطب الوقائي كما جاء بالطب العلاجي، وسبق إلى كثير من المكتشفات في هذا الجانب لم يُتَوصل إليها إلا في العصور الحديثة، ثم ماذا يقول هؤلاء بعد أن جاء العلم بتأييد هذه الأحاديث من الناحية الطبية، فكشف عما ينطوي عليه من أسرار اعتبرها المنصفون والعقلاء من معجزات النبي -ﷺ-.

رابعًا: هل أثبت العلم بطلانه؟

وأما القول بأن العلم يثبت بطلانه؛ لأنه قطع بمضار الذباب، قول من جهل معنى الحديث، وعجز عن فهمه. والحديث كما أسلفت لم ينف ضرر الذباب بل نص على ذلك صراحة. وهل علماء الطب وغيرهم أحاطوا بكل شيء علمًا؟

حتى يصبح قولهم هو الفصل الذى لا يجوز مخالفته، بل هم معترفون كل الاعتراف بأنهم عاجزون عن الإحاطة بكثير من الأمور.

وهنالك نظريات كانت تؤخذ على وجه التسليم تبين فسادها فيما بعد، إذ علومهم خاضعة للتجارب والاختبارات.

بينما الذى نطق به رسول الله ﷺ وحى من عند الله تعالى، العليم بخفاء ما غاب عن الخلق جميعًا. ولا زال علماء الطب يطِلّون على العالم في كل يوم باكتشافات جديدة لعقاقير طبية وأدوية واقية لم تكن عُرفت من قبل.

ثم هل يتوقف إيماننا بصدق كل حديث ورد فيه أمر طبى عن النبي -ﷺ-، حتى يكشف لنا الأطباء بتجاربهم صدقة أو بطلانه؟

وأين إيماننا إذن بصدق نبوة رسول الله ﷺ، ووحي الله إليه؟!

إن حديث رسول الله -ﷺ- برهان قائم بنفسه لا يحتاج إلى دعم خارج عنه، والذي ي جب على الأطباء وغيرهم من عامة الناس هو التسليم بما جاء فيه وتصديقه، فإن هذا هو

مقتضى الإسلام والإيمان بغض النظر عن موقف الطب منه ما دام ثابتًا عن رسول الله - ﷺ - .

هذا كله يقال على فرض أن الطب الحديث لم يشهد لهذا الحديث ولم يؤيد ما جاء به، مع أن الواقع خلاف ذلك فقد وجد من الأطباء المعاصرين - لا نقول المسلمين منهم بل حتى الغربيين- من أيد مضمون ما جاء به الحديث من الناحية الطبية، وأنه من معجزات نبينا -ﷺ- وهنالك العشرات من البحوث والمقالات في هذا الجانب.

المبحث الرابع

الجانب العملي في الحديث

المطلب الأول: الجانب الفقهي.

-أما من الجانب الفقهي فقد اعتمد الفقهاء على هذا الحديث:

إن فقهاء المسلمين سلفًا وخلفًا على اختلاف مذاهبهم، قد اعتمدوا هذا الحديث، وجعلوه أصلاً، بنوا عليه أحكامًا متعددة، وقاسوا عليه غيره، مما يشترك معه في العلة.

وإذا كان الفقهاء، وهم يفرعون الفروع، ويقعدون القواعد، وهم أعرف الناس بشرع الله تعالى، وهم أحرص الناس على هداية الخلق، قد أخذوا بهذا الحديث، واعتمدوه وجعلوه أصلاً وفرعوا عليه، إذا كان ذلك فإن هذا مما يزيد الحديث قوة مع قوته لأن الحديث صحيح لا يحتاج إلى من يقويه لأن قوته من نفسه لكن عمل الأمة به، واتفاقها عليه واتفاقها عليه، يعطيه قوة أخرى زيادة على قوته، خاصة وقد اتفق: على هذا الحديث المحدثون والفقهاء ومثل هذا لا يصح إنكاره، لأن من أنكره فقد جهل وسفَّه عقول وعمل جميع الأمة، التي اعتمدت عليه، ومن يفعل هذا فهو خارج عن حدود الأمة، قال تعالى "وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً[1] "

وقال ابن القيم: هذا الحديث فيه أمران: أمر فقهي، وأمر طبي، فأما الفقهي، فهو دليل ظاهر الدلالة جدا على أن الذباب إذا مات في ماء أو مائع، فإنه لا ينجسه، وهذا قول جمهور العلماء، ولا يعرف في السلف مخالف في ذلك، ووجه الاستدلال به أن النبي -ﷺ- أمر بمقله، وهو غمسه في الطعام، ومعلوم أنه يموت من ذلك، ولا سيما إذا كان الطعام حارا.

(١) سورة النساء: الآية (١١٥) .

فلو كان ينجسه لكان أمرا بإفساد الطعام، وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه، ثم عدي هذا الحكم إلى كل ما لا نفس له سائلة، كالنحلة والزنبور، والعنكبوت وأشباه ذلك، إذ الحكم يعم بعموم علته، وينتفي لانتفاء سببه، فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته، وكان ذلك مفقودا فيما لا دم له سائل انتفى الحكم بالتنجيس لانتفاء علته.

ثم قال من لم يحكم بنجاسة عظم الميتة: إذا كان هذا ثابتا في الحيوان الكامل مع ما فيه من الرطوبات، والفضلات، وعدم الصلابة، فثبوته في العظم الذي هو أبعد عن الرطوبات والفضلات، واحتقان الدم أولى، وهذا في غاية القوة، فالمصير إليه أولى.[1]

وقال أبو الطيب الطبري: لم يقصد النبي -ﷺ- بهذا الحديث بيان النجاسة والطهارة وإنما قصد بيان التداوي من ضرر الذباب، وكذا لم يقصد بالنهي عن الصلاة في معاطن الإبل والإذن في مراح الغنم طهارة ولا نجاسة وإنما أشار إلى أن الخشوع لا يوجد مع الإبل دون الغنم.

قال ابن حجر: متعقبًا على كلام الطبري: قلت: وهو كلام صحيح إلا أنه لا يمنع أن يستنبط منه حكم آخر فإن الأمر بغمسه يتناول صورا منها أن يغمسه محترزا عن موته كما هو المدعى هنا وأن لا يحترز بل يغمسه سواء مات أو لم يمت ويتناول ما لو كان الطعام حارا فإن الغالب أنه في هذه الصورة يموت بخلاف الطعام البارد فلما لم يقع التقييد حمل على العموم لكن فيه نظر لأنه مطلق يصدق بصورة فإذا قام الدليل على صورة معينة حمل عليها.[2]

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٨٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٥١).

وقال النووي في المجموع: وإن كانت النجاسة ميتة لا نفس لها سائلة كالذباب والزنبور ما أشبههما ففيه قولان.

أحدهما: أنها كغيرها من الميتات لأنه حيوان لا يؤكل بعد موته لا لحرمته فهو كالحيوان الذي له نفس سائلة.

والثاني: أنه لا يفسد الماء لما روي أن النبي -ﷺ- قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء وقد يكون الطعام حارا فيموت بالمقل فيه فلو كان يفسده لما أمر بمقله ليكون شفاء لنا إذا أكلناه فإن كثر من ذلك ما غير الماء ففيه وجهان: أحدهما: أنه ينجس لأنه ماء تغير بالنجاسة.

والثاني: لا ينجس لأن ما لا ينجس الماء إذا وقع فيه وهو دون القلتين لم ينجسه وإن تغير به كالسمك والجراد[1].

وقال الصنعاني: والحديث دليل ظاهر على جواز قتله دفعًا لضرره، وأنه يطرح ولا يؤكل، وأن الذباب إذا مات في مائع فإنه لا ينجسه؛ لأنه ﷺ أمر بغمسه، ومعلوم أنه يموت من ذلك، ولاسيما إذا كان الطعام حاراً، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفساد الطعام، وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه. ثم عدى هذا الحكم إلى كل ما لا نفس له سائلة كالنحلة والزنبور والعنكبوت وأشباه ذلك؛ إذ الحكم يعم بعموم علته، وينتفي بانتفاء سببه، فلما كان سبب التنجيس هو الدم المحتقن في الحيوان بموته، وكان ذلك مفقوداً فيما لا دم له سائل، انتفى الحكم بالتنجس لانتفاء علته، والأمر بغمسه ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء منه.

وقد علم أن في الذباب قوة سمية كما يدل عليها الورم والحكة الحاصلة من لسعه وهي

(١) المجموع للنووي (١/ ١٢٧).

بمنزلة السلاح، فإذا وقع فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه، كما قال ﷺ: "فإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء" أمر ﷺ أن تقابل تلك السمية بما أودعه الله ﷻ فيه من الشفاء في جناحه الآخر بغمسه كله. فتقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها، وقد ذكر غير واحد من الأطباء: أن لسعة العقرب والزنبور إذا دلك موضعها بالذباب نفع منه نفعًا بينًا ويسكنها، وما ذلك إلا للمادة التي فيه من الشفاء[1].

المطلب الثاني: الجانب الطبي.

-أما الجانب الطبي في هذا الحديث:

قد أفرد صاحب كتاب (الإصابة في صحة حديث الذبابة) مبحثًا بعنوان: " الاكتشافات الطبية الحديثة" ونقل فيها تسعة أبحاث ومقالات لعلماء غير المسلمين أثبتوا موافقة الطب الحديث لما دل عليه الحديث النبوي.

ثم أورد ثلاثة تقارير علمية طبية صادرة عن قسم: علوم الأحياء في كلية العلوم (جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية) تمت فيها الفحوصات المخبرية والتجارب العلمية الطبية بإشراف أساتذة متخصصين من الأطباء وعلماء الأحياء، وجميع الأبحاث والتقارير الثلاثة توصلت إلى نتيجة موافقة تمامًا لما ثبت في الحديث النبوي.

ثم ذكر تحقيق علمي للدكتور: محمود كمال، والدكتور محمد عبد المنعم قالا:

كثر التعرض لهذا الحديث وخصوصًا من جانب أطباء مكذبين للحديث، لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض.

قالا: أما بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية: كجراثيم الكوليرا والدوستناريا وغيرها التي ينقلها الذباب من المجاري والفضلات أو البراز من المرضى وهي الأماكن

(١) سبل السلام (١/ ٢٧).

التي يرتادها الذباب بكثرة، فمكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة، أو في برازها وهذ ثابت في جميع المراجع (البكتريولوجية).

ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية: التيفوئيد أو الكوليرا أو الدوسنتاريا أو غيرها، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء أيضًا كما ذكرنا بأرجلها.

أما الفطريات التي تفرز المواد المضادة والتي تقتل الجراثيم المرضية الموجودة في براز الذبابة وفي أرجلها فتوجد على بطن الذبابة، ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات، والمحتوي على المواد المضادة للحيوية إلا بعد أن يلمسها السائل الذي يزيد الضغط الداخلي لسائل الخلية، ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل.

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يوكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الغذاء إذا وقعت عليه لإفساد أثر الجراثيم المرضية التي نقلتها بأرجلها، أو ببرازها.

وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث وهي: أن في أحد جناحيها داء (أي في أحد أجزاء جسمها: الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التي حملتها) وفي الآخر شفاء (وهو المواد المضادة للحيوية التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات، انتهى.

المطلب الثالث: الجانب العلمي في الحديث.

-المعجزات العلمية الحديثة في حديث الذبابة.

أثبت هذا الحديث الكثير من المعجزات التي أخبر عنها النبي – ﷺ- قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا والتي لم تكشف إلا حديثًا بعد تطور العلم الحديث والمختبرات والأجهزة الدقيقة والبحوث العلمية ومنها:

أولى معجزات الحديث:

الإنباء بوجود كائنات حية مجهرية مرضية..

والتي تتصل بالإشارة الضمنية، إلى وجود مسببات للمرض وهي: كائنات مجهرية دقيقة كالميكروبات والجراثيم والفيروسات والفطريات وبعض الطفيليات، التي يحملها الذباب وبعض خشاش الأرض، ويتناولها الإنسان في أكله وشرابه، أو تصيبه بالمرض بطرق مختلفة من العدوى، وهو لا يراها ولم يعرف عنها من قبل، فيصيبه الداء، وهو لا يدري سببًا لدائه، فكان يتقبل المرض بقوة إيمانه وعقيدته الراسخة، بأن ذلك ابتلاء من الله، يصيب به من يشاء من عباده، فيصبر على المرض ويحتسب الأجر عند الله وقد جاء الإنباء بوجود تلك الكائنات المسببة للأمراض المعدية بكافة أشكالها، قبل اختراع الأجهزة البصرية المكبرة بمختلف أنواعها والتي أثبتت هذه الحقائق بعد اختراعها في العصور الحديثة أي بعد مرور مئات ومئات السنين.

ثاني معجزات الحديث:

الإنباء بوجود ظاهرة التوتر السطحي في السوائل..

ولنقدم هنا اجتهادا بُني على أساس علمي، لتفسير هذا الحديث المعجز قديمًا وحديثًا، وإلى قيام الساعة، وتتطابق استنتاجاته بكل دقة وموضوعية، مع نتائج التجارب البيولوجية والحيوية، التي أجريت في المعامل المتخصصة، على يد مجموعة من الأساتذة

المتخصصين والباحثين بقسم الأحياء، بكلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وجامعة القاهرة منذ عدة أعوام.

إننا نشاهد باستمرار، وكل يوم أشكالاً طبيعية مألوفة ولا نتمعن فيها والأمثلة على ذلك متعددة، نذكر منها شكل حبيبات المطر، وقطرات الندى، وقطرات الماء، وفقاقيع رغوة الصابون...

إن جميعها لا يأخذ إلا الشكل الهندسي الكروي، كامل الاستدارة في كل مقاطعه، أو مساقطه بلا زوايا فلماذا هذا الشكل الهندسي بالذات؟ لماذا لا تأخذ الشكل المكعب، أو المخروطي، أو الأسطواني أو المنشوري أو غيرها من أشكال المجسمات الهندسية المعروفة لنا جميعًا؟ الإجابة باختصار: هي أن الشكل الكروي يضع الحجم المعين من أي سائل في حالته الحرة، في أقل مساحة سطح وهو ما لا يتأتى إلا في الشكل الكروي دون غيره من الأشكال الهندسية الأخرى جميعها.

لقد أثبت العلم الحديث وجود ظاهرة ربانية طبيعية في علم خواص السوائل تعرف بظاهرة التوتر السطحي ومفاد هذه الظاهرة: أن جزيئات سطح أي سائل، تتجاذب فيما بينها بقوة ترابطية، متساوية متجانسة في كافة الاتجاهات، حتى يأخذ حجم معين من السائل، أقل مساحة سطح في الفراغ، بسبب تجاذب جزيئات سطح هذا السائل بعضها لبعض، وفي حالة وجود السائل في وعاء، فإن تجاذب جزيئات سطح السائل، يُكون على سطحه ما يشبه "الغشاء الوهمي المرن"، ويتخذ سطح كل سائل شكلاً خاصًا محدداً، يختلف من سائل لآخر باختلاف نوع السائل وكثافته ودرجة حرارته وقطر الوعاء ومادته وعوامل أخرى.

فنشاهد على سبيل المثال أن سطح الزئبق يأخذ شكلاً محدبًا لارتفاع كثافته وقوة التجاذب بين جزيئات سطحه، في الوقت الذي يأخذ سطح سائل الكحول شكلاً مقعراً، لانخفاض كثافته وضعف قوة التجاذب بين جزيئاته، في حين يأخذ سطح الماء شكلاً مستويًا تقريبًا.

ما هي العلاقة بين ظاهرة التوتر السطحي والذبابة؟

من المعروف أن الحشرات الطائرة والهوام بصفة عامة تعلق على أجسامها أو تلتصق بها آلاف بل ملايين، من مختلف أنواع الجراثيم والميكروبات والفيروسات والفطريات المجهرية الشكل والحجم والتركيب، ونؤكد هنا على كلمة أو تعلق تلتصق بجسمها بسبب وجود بعض الإفرازات اللزجة على أطراف وأجسام بعض الحشرات فهذه الميكروبات والجراثيم والفيروسات، ليست جزءاً من جسم الحشرة (كالأرجل والشعيرات والخرطوم أو الذنب أو الأجنحة..).

فإذا ما سقطت الذبابة وارتطمت بسطح السائل، صارت طبقة الجراثيم والميكروبات والفيروسات والفطريات العالقة عليه، طبقة وسطى بين جسم الذبابة وسطح السائل

عند نزع الذبابة دون غمسها فإن طبقة الميكروبات والجراثيم والفيروسات والفطريات العالقة، تنجذب في اتجاه سطح السائل بقوة التوتر السطحي بين جزيئاته .. وكأنها بمثابة عملية تقشير لتلك الطبقة العالقة على جسم الذبابة فيتلوث السائل بأكبر قدر من تلك الميكروبات والجراثيم والفيروسات وهذه طبيًا تعرف بالجرعة المرضية (dose Clinically infective) أي الجرعة التي تتسبب في نقل عدوى المرض، أو الداء، وبالتالي ظهور أعراضه بعد فترة حضانة داخل الجسم، تتكاثر خلالها الميكروبات وتتحرر الجراثيم والفيروسات من أغلفتها، وتبدأ تلك الكائنات المرضية المجهرية الدقيقة في غزو أنسجة الجسم، وتبدأ معها أعراض المرض في الظهور وهنا تختلف وتتنوع صورة المرض (الداء) حسب كثافة ونوع وقوة الميكروب وقدرته على اختراق الأنسجة (of the organism Virulence (ويبدأ معها الجهاز المناعي بجسم الإنسان بالتعامل حسب شفرتها الوراثية التي لا يألفها (الجهاز المناعي للجسم) وبالتالي فإنه يتعامل معها كأجسام غريبة عن شفرته

الوراثية المألوفة له، ويتعامل الجهاز المناعي تجاه هذا التفاعل كرد فعل حيوي متخصص (Specific Reaction) إما بتكوين أجسام مناعية مضادة متخصصة Antibodies Specific أو مضادات لسموم تلك الميكروبات (Specific Antitoxin) أو مضادات فيروسية (Specific Antiviral Antibodies) [1]

ثالث معجزة:

الإنباء بالاستجابة المناعية للعدوى:

فكرة (التطعيم ضد بعض الأمراض المعدية) تنقسم الاستجابة المناعية بالجسم إلى نوعين:

النوع الأول: استجابة دفاعية ومناعية غير متخصصة، والتي تنشط ضد جميع الميكروبات أو الجراثيم أو الفطريات (المرضية) دون سابق التعرف عليها أو سابقة التعرض لها.

النوع الثاني: استجابة مناعية متخصصة.

وتنشط ضد ميكروبات أو جراثيم أو فيروسات محددة النوع بعد التعرف عليها أو بالتطعيم ضدها ومنها نوعان:

النوع الأول: مناعة سائلة

تسبح مضاداتها في سائل الدم وسوائل الأنسجة، بعد تكوين أجسام مضادة دفاعية، ضد الميكروبات التي دخلت الجسم.

النوع الثاني من الاستجابة المناعية: المناعة الخلوية:

ويتفاعل هذا النوع من المناعة، مع الميكروبات التي لها خاصية التعايش داخل الخلايا.

(١) ينظر تفسير معجزتي الداء والشفاء في حديث الذبابة (ص ٢٧- ٣٠).

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـــالحات، والصـــلاة والســـلام على من ختم الله به الرســـالات، نبينا محمد وعلى آله وأصـــحابه ومن ســـار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

بعد هذه الرحلة المباركة، تم إنجاز هذا البحث بعون الله وتوفيقه، وأســأل الله أن يكون قد وفقني للدفاع عن سنة الحبيب المصطفى - ﷺ- وكشف زيف هذه الشبهة.

وقد توصلت من خلال بحثي إلى نتائج من أهمها:

١ - أن الله ﷻ قيّض لسنة نبيه -ﷺ- علماء ثقات حفظوا لنا السنة، وأبعدوا عنها كل زيف وتحريف، ودمغوا كل شبهة بالحجج العلمية القاطعة.

٢- أن هذا الحديث قد قاله الرســـول -ﷺ-، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، في بيئة صحراوية قاحلة، تندر فيها الموارد المائية، حتى أن أهلها قد ألفوا الرمضاء قبل الرغداء.

٣- أن الأمر في هذا الحديث أمر إرشاد، لا أمر وجوب فالنبي- ﷺ- لم يُجبر المسلم على احتســاء شــراب أيًا كان، ســقطت فيه ذبابة أو مـــا شــابهها من هوام أو قشــاش الأرض، فإذا عافتك نفســك أن تشــربه فهذا ليس إثمًا منك، ولا بأس لأنك لم تحرم شــربه، ولكن عافتك نفســك أن تتناولــه وهــذا يذكرنا بموقف الرسول الكريم - ﷺ- ، عندما دُعي لأكل لحم الضب فلم يأكله، وقال - ﷺ- ، "وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ"[1]، فالبعض منا لا يأكل دهن الضأن المطبوخ، أو بعض الوجبات الدسمة أو الحارة أو غيرها من الأطعمة

((١)) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة/ باب ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمى له، فيعلم ما هو، (٧/ ٧١) ح٥٣٩١.

التي تقدم له على بعض الموائد أو في بعض المناسبات، وقد يعتذر عن عدم تناولها أو لا يعلق على ذلك، فإن هذا لا يعني تحريمه إياها، ولكن نفسه تعافها، وهذا أمر طبيعي في نفوس البشر كافة.

٤- أن الحديث الشريف يشير إلى غمس الذبابة في الشراب حتى يتقي بمقومات الشفاء في أحد جناحي الذبابة ما في جناحها الآخر من داء، والذي لا تقبل نفسه لا يوجد ما يجبره عليه، ولا يجوز له أو لغيره أن ينطلق إلى التشكيك في صحة الحديث لذلك، لأن الحديث سنده صحيح، ومتنه صحيح أيضًا، بثبوت نسبته إلى رسول الله -ﷺ-، ولثبوت صحته من الناحيتين العلمية والتطبيقية.

٥- أليس هناك من البشر ممن لا يزالون يعيشون في صحاري تندر فيها الماء؟ أليس هناك من الجنود أو غيرهم ممن يحاصرون في مكان ما، فلا يجدون إلا القليل من الماء، أليس هناك من يعانون جفاف أوديتهم في بعض الفصول من السنة ؟.. ألا ترى أيها المسلم الغيور أن لهذا الحديث مكانة في عصرنا هذا وإلى يوم الدين وإن استغربته؟ ولكن إياك أن تنكره .. فقائله صلوات الله وسلامه عليه الذي لا ينطق عن الهوى.

٦- أنه من الناحية التطبيقية قامت مجموعات من الباحثين المسلمين في كل من مصر والمملكة العربية السعودية بإجراء عدد من التجارب على مجموعة من الآنية تحمل ماءًا وعسلا، وتركت الآنية مكشوفة للذباب كي يقع عليها، وفي بعضها غُمس الذباب وفي مثيلاتها لم يُغمس، وعند الفحص المجهري اتضح أن الشراب الذي لم يُغمس فيه الذباب قد أصبح مليئا بالجراثيم والميكروبات، والذي غُمس فيه الذباب خالٍ تقريبًا من ذلك.

هذ وقد أوصي المؤتمر العالمي السادس " التغريب في العلوم الإسلامية والعربية – الظواهر- الأسباب- سُبل المواجهة " بما يلي:

١- بضرورة العمل على ترسيخ الهوية الإسلامية مرجعية فكرية وثقافية موحدة تمثل صمام أمان في مواجهة محاولة التغريب والتفكيك.

٢- وحدة الأمة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس عقدي وأخلاقي متين نابع من الإسلام.

٣- ضرورة التأكيد على أهمية وحدة المرجعية الدينية في العالم الإسلامي وضرورة دعم المؤسسات الشرعية الوسطية ذات المصداقية التي تحارب الغلو والانحراف وتتصدى للتغريب والتيارات التي تفتت الأمة الإسلامية.

٤- أوصى على أهمية دعوة المؤسسات الإسلامية والإعلامية في العالم الإسلامي إلى تنقيح المناهج والبرامج من المضامين التي تمجد الغرب وتقلل من شأن الحضارة الإسلامية على أن نستبدلها بمضامين تنمي الانتماء وترسخ القيم الإسلامية وتعزز الوعي بمخاطر التغريب.

٥- أوصى بوضع خطه شامله لجميع وسائل الإعلام لزيادة الوعي بخطورة حركات التغريب المعاصرة وسوء أثرها البالغ على النشأ المسلم وكما هو واضح بين شبابنا وفتياتنا.

٦- أوصى بالتنسيق بين جهود الوزارات المختلفة كالتربية والتعليم والإعلام والمؤسسات الدينية لمواجهة هذه الظاهرة الخطيرة "مظاهر التغريب".

٧- أوصى بأن تهتم المؤسسات بتحصين الشباب المسلم من الأفكار التغريبية التي تستهدف إلى تذويب الهوية والانسلاخ من قيم الشريعة والفضائل الإسلامية.

٨- أوصى بكشف وفضح رموز الاتجاه التغريبي وأفكارهم وآرائهم والتركيز على تناقضهم ومناقشتها مناقشة علمية رصينة من خلال الأبحاث التي يقوم بها الباحثون في الجامعة.

٩- العمل على كسر احتكار دعاة التغريب للإعلام المرئي والمسموع واللقاءات الثقافية وإتاحة الفرص في المشاركة في كل وسائل الإعلام للتعبير عن وجه المجتمع المسلم الحقيقي المنطلق من كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ-.

١٠- تعزيز الوعي لدي الجيل القادم بالحضارة الإسلامية في مختلف المجالات وأن نعرّف شبابنا بتاريخهم تاريخ الأمة العريق وثقافتها الأصيلة هذا الأمر من شأنه أن يعزز ارتباط أبنائنا وشبابنا بهويتهم الإسلامية كما يعينهم على المحافظة عليها والغيرة عليها.

كما أوصى المؤتمر الباحثين بالاطلاع على الأنشطة المكثفة للمراكز التي تُعنى بنشر الأفكار التغريبية والدعوة إليها، مع التصدي لهذه الأفكار والرد على مزاعمها وتفنيدها بأسلوب علمي رصين متزن يتفق مع منهج الأزهر بوسطيته واعتداله.

وختامًا فهذا جهد المقل قد بذلته، وأسأل الله له القبول وأن ينفع به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المراجـــع

- إثارة الشبهات حول السنة النبوية "أسبابها وجهود العلماء في دفعها" إعـداد: طه رمضان إبراهيم زغلول.
- الإصـابة في صـحة حديث الذبابة، الدكتور: خليل إبراهيم ملا خاطر، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
- الأنوار الكاشـفة لما في كتاب "أضـواء على السـنة" من الزلل والتضـليل والمجازفة، المؤلف: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (المتوفى: ١٣٨٦ هـ)، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها- عالم الكتب – بيروت.
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، المؤلف: قاسـم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (المتوفى: ٩٧٨ هـ)، المحقق: يحيى حسـن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ٢٠٠٤م-١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- تـأويـل مختلف الحـديـث، المؤلف: أبو محمـد عبـد الله بن مسـلم بن قتيبـة الـدينوري (المتوفى: ٢٧٦ هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – مؤسسة الإشراق.
- التبشـير والاسـتعمار في البلاد العربية (عرض لجهود المبشـرين التي ترمي إلى إخضـاع الشـرق للاسـتعمار الغربي)، المؤلف: الدكتور مصـطفى خالدي – الدكتور عمر فروخ، الناشر: المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
- التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسـان المجددي البركتي، الناشـر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦م).
- تفسير معجزتي الداء والشفاء في حديث الذبابة، د: يحيي إبراهيم محمد.

- تنبيه الألباب لإعجاز حديث "الذباب ودحض شبهات كل مفترٍ وكذاب"، د: مازن مزهر إبراهيم.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- الداء والدواء في جناحي الذباب، بحث أ. د/ مصطفى إبراهيم حسن، أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض، كلية العلوم بنين – جامعة الأزهر.
- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، تأليف الدكتور محمد محمد أبو شهبة، من علماء الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية – الأزهر الشريف، المؤتمر العاشر: القاهرة، ط مكتبة السنة
- سبل السلام شرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى:١١٨٢ هـ)، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية.
- سنن أبي داود، المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل الجوهري الفارابي (المتوفى:٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- الطب النبوي (جزء من كتاب زاد المعاد لابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت.
- العدة في أصول الفقه، المؤلف: القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨ هـ)، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي (المتوفى:٩١١ هـ)، جمع: يوسف النبهاني (ت ١٣٥٠)، الناشر: دار الفكر – بيروت / لبنان.
- قادة الغرب يقولون «دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ»، المؤلف: جلال العالم = عبد الودود يوسف الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٣ هـ)، تاريخ النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٤م.

- كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها، المؤلف: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
- كفاية الأخيار في رد شبهات حول سنة المختار ﷺ، للأستاذ الدكتور: السيد أحمد سحلول، أستاذ الحديث الشريف وعلومه بجامعة الأزهر.
- لسان العرب، المؤلف: ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، البلد: القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.
- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.
- المجموع شرح المهذب، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار الفكر.
- مركز سلف للبحوث والدراسات، مركز بحثي بإشراف د. محمد بن إبراهيم السعيدي، بحث (هل يتعارض العلم مع الدين)
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
- معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي/ الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:٣٩٥ هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.
- المنثور في القواعد الفقهية، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤ هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٣.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص.....١٤٩٣

المقدمـــة ١٤٩٥

المبحث الأول حقيقة الشبهة وأنواعها وأهداف أصحابها ١٥٠٠

المطلب الأول: حقيقة الشبهة وأنواعها ١٥٠٠

المطلب الثاني: أغراض مثيري الشبهة حول السنة النبوية. ١٥٠٢

المبحث الثاني عرض بعض طرق الحديث، وحكم العلماء عليه، وأقوالهم في بيان شرح ألفاظه ١٥٠٥

المطلب الأول: طرق حديث الذباب وتخريج بعض طرقها. ١٥٠٥

المطلب الثاني: حكم الحديث وأقوال العلماء فيه. ١٥٠٩

المطلب الثالث: أقوال العلماء المسلمين في بيان شرح ألفاظ الحديث. ١٥١٠

المبحث الثالث شبهة مخالفة السنة للطب الحديث " حديث الذبابة نموذجًا " ١٥١٣

المطلب الأول: دعوى مخالفة السنة للعلم. ١٥١٣

المطلب الثاني عرض شبهة حديث الذبابة والرد عليها ١٥١٨

المبحث الرابع الجانب العملي في الحديث ١٥٢٩

المطلب الأول: الجانب الفقهي. ١٥٢٩

المطلب الثاني: الجانب الطبي. ١٥٣٢

المطلب الثالث: الجانب العلمي في الحديث.....١٥٣٤

الخاتمـــة ١٥٣٨

المراجـــع ١٥٤٢

فهرس موضوعات البحث.....١٥٤٧